

دروس في بيان مقامات اهل البيت عليهم السلام في كتاب الآداب المعنوية للصلاة للإمام
الخميني قدس سره الشريف

يا زهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لولاية علي افضل المناهج و المسالك و الطرائق , و الصلاة على سيد كل صامت و ناطق , الامين الصادق محمد و آله حقيقة الحقائق , و اللعن على اعدائهم و شائئهم و مبغضهم و منكري فضائلهم و المشككين في مقامهم المحمودة و على اعداء شيعتهم من كل فاسق و مارق إلى يوم تُجمَع فيه الخلائق .

في الاسبوع الماضي كان حديثي في مقدمة لِدروسنا في هذا الكتاب الشريف , اعني كتاب (الآداب المعنوية) لإمام الأئمة رضوان الله تعالى عليه , كان الكلام بمثابة مقدمة و فاتحة مُحمّلة للأبحاث و الموضوعات التي سنتناولها إن شاء الله فيما نقتطفه من هذا الكتاب الشريف , كما بيّنتُ في الاسبوع الماضي , لستُ قاصدا ان اشرح هذا الكتاب سطرًا سطرًا , و لا اريد ان اتناول تمام ما جاء فيه لأنّ هذا يحتاج إلى وقت طويل و إنّما استعرض ما ذكره إمام الأئمة رحمة الله عليه في هذا الكتاب بخصوص معرفة الأئمة و بخصوص عقيدته التي يريد من عوامّ الشيعة ان يعتقدوا بها باعتبار أنّ هذا الكتاب كما قال هو في مقدمة كتابه هذا أنّه مؤلّف لِعوامّ شيعة اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين و لم يكن مكتوبا لِدوي الاختصاص .

الموضوع الذي نتناوله في هذا اليوم , البحث الاول ما يتعلّق بمبحث العبودية , و انا في هذا الدرس لا اريد ان اتناول مبحث العبودية من جهة لَعوية و لا اريد ان اتناوله من جهة اخلاقية , إنّما نُلقي نظرة على هذا المبحث من الزاوية التي تتعلّق بكلامنا و هو ما يتعلّق بمعرفة ائمتنا , بمعرفة اوليائنا صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين .

الإنسان , هذا المخلوق , فيما بينه و بين الله حجب و حجب , نُلقي نظرة على الحجب التي تفصل بين الإنسان و بين الله سبحانه و تعالى , و بين العلة الاولى , إذا نظرنا إلى انفسنا نجد حجابا واضحا و هو

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

اننا لا نتمكن من رؤية الله سبحانه و تعالى بِحَواشِنَا , لا نتمكن من ان نُحيط علماً بالله من طريق الحواس , حاسة البصر هي اقوى حواس الإنسان و الإنسان لا يتمكن من رؤية الباري بِعَيْنِهِ و الذات الإلهية مُنَزَّهَةٌ عن انّ المخلوقات تَراها بِهذه الحواس القاصرة و بِهذه الحواس المحدودة , بِحَواشِنَا نُحيط علماً و نُدرك اشياء كثيرة جدا , أمّا اننا لا نُدرك بِحَواشِنَا شيئاً من حقيقة الله سبحانه و تعالى , نحن مُحدودون , حَواشِنَا مُحدودة , فنحن مُحجوبون , حَواشِنَا مُحجوبة عن الله سبحانه و تعالى , الحجاب بالنسبة لحاسة البصر , الآن مثلاً , على سبيل المثال ما وراء هذا الجدار عيوننا لا تَصِلُ إليه فنحن هنا مُحجوبون عن رؤية ما وراء الجدار بالمرّة , يعني إذا لم تُكُنْ في يوم من الايام قد ذهبت وراء الجدار لِتَرى ما وراء الجدار لا يمكن لك من طريق حاسة البصر ان تلمح ما وراء هذا الجدار , هناك حجاب للبصر يَمنع الرؤية البصرية بالمرّة بحيث لا ترى شيئاً , او حينما تكون في ظلام دامس , أليس تعثر بالاشياء لأنتك لا تَراها , لِماذا تعثر بالاشياء ؟ لِتَفرض أنّك دخلت إلى هذا المكان في ظلام دامس , في الليل و المصابيح مُطفأة , النوافذ , الشبائيك , الابواب مُغلقة , تكون الظلمة دامسة حينئذ فَسَتعثر بالاشياء , لِماذا تعثر بالاشياء ؟ لأنك لا تَراها , الظلمة هنا صارت حجاباً فيما بينك و بين هذه الاشياء , في بعض الاحيان الإنسان ينظر إلى الاشياء و حجاب فيما بينه و ما بينها فلا ينظر لها , حينما الآن اريد ان انظر إلى ما وراء الجدار لا اتمكّن ان ارى شيئاً و في بعض الاحيان هذه الرؤية تكون مُشبهة بظاهرة الإنكسار , هذه الظاهرة الفيزيائية حينما تضع شيئاً مثلاً في قَدَح من الماء , الآن إذا نُحِج قَلَمٌ او اي شيء , قطعة من الخشب او اي شيء و تضعها في داخل الماء بِشَكل مستقيم , قَدَح من الماء زجاجي إملاًهُ بالماء و ضَع فيه قطعة من الخشب او قَلَم او أي عمود , أي قضيب , أدخلهُ في هذا الماء و انظُرْ إليه من مسافة ترى أنّ القَلَم بِشَكل مُنكسر , مكسور , تَراه مكسوراً في الماء و كأنه صارَ قَسَمَيْنِ و الحال القَلَم ليس مكسوراً و هذا يأتي من اشتباه البصر , أنّ البصر يشته في النظر , هذه المسائل التَمويهية , مسائل الشعبة , هؤلاء المشعبدون الذين تكون عندهم قدرة على الحركة السريعة , على الحركة الخفيفة و الشعبة ما هي ؟ الشعبة فيها حركتان , حركة خفيفة و حركة خفيفة , يكون قادراً على ان يتحرك حركة خفيفة , يُحَرِّك الاشياء بيده , و حركة خفيفة في نفس الوقت , فالعين ترى شيئاً غير الواقع , او ظاهرة السراب , حاسة البصر في كثير من الاشياء تشته في كثير من الاشياء تُخطيء و في كثير من الاشياء لا تتمكن من الرؤية حينما تكون الحواجب موجودة , هذه في الاشياء المادية المحدودة , فهذه الحاسة مُحجوبة بالمرّة عن رؤية الباري سبحانه و تعالى .

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

و عقل الإنسان , عقل الإنسان ايضا لا يُدرك كُنْهَ الباري و نحن لا نريد هنا ان نُثبِتَ هذه المسائل , لَسْنَا في صَدَدِ بَحْثِ كَلَامِي لِإِثْبَاتِ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَا يُرَى بِالْعَيْنِ الْبَاصِرَةِ , وَ لَسْنَا فِي صَدَدِ بَحْثِ لِإِثْبَاتِ أَنَّ الْعُقُولَ لَا تُدْرِكُ كُنْهَ الْبَارِي , هَذِهِ حَقِيقَةٌ وَاضِحَةٌ , نَحْنُ مَخْلُوقَاتٌ مَحْدُودَةٌ وَ هُوَ مُطْلَقٌ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ الْمَحْدُودُ لَا يُحِيطُ بِالْمُطْلَقِ , فَهَذَا الْإِبْرِيْقُ وَ هَذَا الْكُوزُ وَ هَذَا الْقَدْحُ لَا يَتِمَكَّنُ أَنْ يَسْعَ الْبَحْرُ , يَأْخُذُ شَيْئًا مِنَ الْبَحْرِ لَا يُعَدُّ بِشَيْءٍ , هَذَا الْكُوزُ نَعْرِفُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ , هَذَا الْمَاءُ يَشْبَهُ مَا فِي الْبَحْرِ وَ لَيْسَ الْبَحْرُ , يَعْنِي يُمَكِّنُ أَنْ تَقُولَ أَنَّ هَذَا الْمَوْجُودَ فِي الْكُوزِ أَوْ فِي الْإِبْرِيْقِ بَحْرٌ ؟ لَا يُمَكِّنُ هَذَا , هَذَا مَاءُ الْبَحْرِ , هَذَا شَيْءٌ مِمَّا فِي الْبَحْرِ , الْبَحْرُ لَيْسَ مَاءً فَفَقَطُ , الْبَحْرُ شَأْنٌ مِنْ شَأُونَاتِهِ الْمَاءِ وَ إِلَّا فِي أَعْمَاقِهِ أَشْيَاءٌ وَ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ , وَ الْبَحْرُ لَيْسَ فَفَقَطُ مَاءً , لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَكَانٌ أَرْضِيٌّ وَ مَكَانٌ مُنْقَعَرٌ أَرْضِيٌّ فِيهِ مَاءٌ وَ مَوْجُودٌ فِيهِ أَشْيَاءٌ وَ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ وَ الْأَشْيَاءُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْبَحْرِ أَكْثَرُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْبَرِّ , أَوَّلًا لِسَعَةِ الْبَحْرِ وَ لِكَثْرَةِ الْأَنْوَاعِ النَّبَاتِيَّةِ وَ الْحَيَوَانِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ , فَهَذَا الَّذِي تَأْخُذُهُ فِي الْكُوزِ لَا يُقَالُ لَهُ (بَحْرٌ) هَذَا شَيْءٌ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ , شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ مِنْ شَأُونَاتِ الْبَحْرِ , فَلَا يُمَكِّنُ حِينَمَا يَسْأَلُكَ . مَثَلًا . أَحَدٌ لَمْ يَعْرِفِ الْبَحْرَ أَوْ لَمْ يَرَ الْبَحْرَ , لَمَّا يَسْأَلُكَ مَا الْبَحْرُ ؟ تَقُولُ لَهُ الْبَحْرُ هَذَا , هَذَا الْكَلَامُ لَيْسَ صَحِيحًا , الْمَوْجُودُ فِي هَذَا الْكُوزِ لَيْسَ هُوَ الْبَحْرُ وَ أَصْلًا لَا يَشْبَهُ الْبَحْرَ بِشَيْءٍ , يَعْنِي حَتَّى لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَرَسُمَ عَلَى الْوَرَقِ كُوزًا وَ فِيهِ مَاءٌ وَ نَرَسُمَ بَحْرًا , وَ هَذَا الْوَرَقُ لَا يُمَثِّلُ حَقِيقَةَ الْأَشْيَاءِ لَكِنْ لَا يَوْجُدُ مُشَابَهَةً بَيْنَ هَذَا الْبَحْرِ وَ بَيْنَ هَذَا الْمَوْجُودِ فِي الْكُوزِ , فَالذَّهْنُ الْبَشَرِيُّ ذَهْنٌ مَحْدُودٌ وَ ذَهْنٌ يُخْطِئُ وَ يَقَعُ فِي الْإِشْتِبَاهِ وَ يَقَعُ فِي الْخَطَأِ فَأَيْضًا هُوَ لَا يُدْرِكُ كُنْهَ الْبَارِي سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى , هَذِهِ حُجُبٌ وَاضِحَةٌ , حُجُبٌ قَوِيَّةٌ , وَ الْإِنْسَانُ بِأَيِّ شَيْءٍ ؟ نَحْنُ الْآنَ نَعِيشُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بِأَيِّ شَيْءٍ ؟ نَعِيشُ بِقَوَى حَسِيَّةٍ , بِإِحْسَاسَاتٍ وَ بِحَوَاسٍ وَ نَعِيشُ بِقَوَى فِكْرِيَّةٍ , أَفْكَارٍ وَ مَعْلُومَاتٍ فِي الْأَذْهَانِ , بِأَيِّ شَيْءٍ نَعِيشُ , هُوَ فَرْقُ الْمَيِّتِ عَنِ الْحَيِّ مَا هُوَ ؟ وَ إِلَّا حَتَّى الْمَجْنُونُ يَحْمَلُ حَوَاسًا وَ يَحْمَلُ قَدْرًا مِنَ التَّفَكِيرِ لَذَلِكَ مَثَلًا إِذَا تَرِيدُ أَنْ تُلْقِيَهُ فِي النَّارِ يَرْفُضُ , وَ حَتَّى هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ تَمْلِكُ قَدْرًا مِنَ التَّفَكِيرِ , مَقْدَارًا مِنَ التَّفَكِيرِ , حَتَّى الْآنَ فِي الْعُلُومِ , نَحْنُ فِي رَوَايَاتِنَا وَ فِي أَحَادِيثِنَا هَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ لَكِنْ الْآنَ حَتَّى فِي الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ هَذَا الْمَعْنَى يُنْتَبِهُهُ لِلْحَيَوَانَاتِ , أَهْمًا تَمْلِكُ قَدْرًا مِنَ التَّفَكِيرِ وَ هَذِهِ قَضِيَّةٌ وَاضِحَةٌ , يَعْنِي إِذَا تَأْتَى بِقَطِيعٍ مِنَ الْأَغْنَامِ وَ تَرِيدُ أَنْ تُدْخِلَهُ فِي النَّارِ مَا تَدْخُلُ الْأَغْنَامُ أَبَدًا , تَأْتِي بِقَطِيعٍ مِنَ الْأَغْنَامِ وَ نَارٌ كَبِيرَةٌ وَ حَاوِلٌ أَنْ تُدْخِلَ هَذِهِ الْأَغْنَامَ فِي هَذِهِ النَّارِ , أَبَدًا مَا تَدْخُلُ الْأَغْنَامَ , قَطِيعٌ مِنَ الْأَبْقَارِ وَ ادْفَعُهُ بِعُنْفٍ وَ بِقُوَّةٍ بِاتِّجَاهِ النَّارِ , أَبَدًا مَا تَدْخُلُ الْأَبْقَارَ فِي النَّارِ , هَذِهِ الْحَالَةُ حِينَمَا الْحَيَوَانُ يَضْطَرُّ مِنْ شَيْءٍ أَوْ يَمْتَنِعُ عَنْ شَيْءٍ أَوْ يَنْدَفِعُ نَحْوَ شَيْءٍ مَاذَا

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

تَدُلُّ ؟ تَدُلُّ عَلَى مَقْدَارٍ مِنَ التَّفَكِيرِ ، نِسْبَةً مِنَ التَّفَكِيرِ مَوْجُودَةٌ عِنْدَ هَذَا الْكَائِنِ وَ الْإِنْسَانِ عِنْدَهُ نِسْبَةٌ مِنَ التَّفَكِيرِ أَوْسَعٌ وَ لَذَلِكَ يَشْتَبَهُ وَ يَقَعُ فِي الْخَطَأِ ، فَالْعُقُولُ الْبَشَرِيَّةُ لَا تُحِيطُ بِكُنْهِ اللَّهِ ، عُقُولٌ مَحْدُودَةٌ وَ الْذَاتُ الْإِلَهِيَّةُ ذَاتٌ مَطْلَقَةٌ وَ الْمَحْدُودُ لَا يُحِيطُ بِالْمَطْلُوقِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْإِبْرِيْقِ الَّذِي لَا يَسَعُ الْبَحْرَ ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْكُوزِ الَّذِي لَا تَتِمَكَّنُ أَنْ تَضَعَ مَهْرَ دَجَلَةٍ فِي كُوزٍ ، لَا يُمَكِّنُ هَذَا ، فَنَحْنُ مَحْجُوبُونَ ، عُقُولُنَا مَحْجُوبَةٌ عَنِ إِدْرَاكِ كُنْهِ اللَّهِ ، عِيُونُنَا ، حَوَاسِنُنَا مَحْجُوبَةٌ عَنِ تَحْسُّسِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى ، فَإِذَنْ فِيمَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ اللَّهِ حُجُبٌ وَ حُجُبٌ ، هَذِهِ حُجُبٌ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ ، عُقُولُنَا لَا تُدْرِكُ كُنْهِ اللَّهِ ، عِيُونُنَا لَا تَرَى اللَّهَ ، حَوَاسِنُنَا لَا تَصِلُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَكِنْ هُنَاكَ فِي عُمُقِ الْوُجْدَانِ الْبَشَرِيِّ ، حَتَّى فِي عُمُقِ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ دِينًا ، حَتَّى فِي عُمُقِ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ عَقِيدَةً ، حَتَّى فِي عُمُقِ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يَسَلِّكَ فِي مَسَلِّكَ شَرَائِعِي سَمَاوِيٍّ ، فِي عُمُقِ الْإِنْسَانِ تَوْجِدَ حَقِيقَةٍ وَ هُوَ أَنَّهُ يَشْعُرُ بِالضَّعْفِ وَ النِّقْصِ فِي الْحَالَاتِ الَّتِي يَفْقَدُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ ، يَفْقَدُ فِيهَا كُلَّ إِمْكَانِيَّةٍ ، يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ بِتَمَامِ الضَّعْفِ ، بِتَمَامِ الْحَاجَةِ ، وَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ هُنَاكَ أَهْلٌ يَنْبَعِثُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ يَوْجِدُ مَنْ يُكْمِلُ هَذَا النِّقْصَ ، يَوْجِدُ مَنْ يُعِينُهُ ، نَفْسُ السُّؤَالِ الَّذِي يَسْأَلُهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا يَسْأَلُهُ هَذَا السَّائِلُ عَنِ اللَّهِ ، يَقُولُ لَهُ يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ ، النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ اللَّهِ كَثِيرًا ، أَرِيدُ شَيْئًا تُبَيِّنُهُ لِي أَعْرِفُ فِيهِ الْبَارِي ، أَعْرِفُ فِيهِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى ، قَالَ رَكِبْتَ الْبَحْرَ ؟ قَالَ نَعَمْ ، انْكَسَرَتْ بِكَ السَّفِينَةُ ؟ قَالَ نَعَمْ ، الْإِمَامُ حَتْمًا عَالِمٌ بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ وَ انْكَسَرَتْ بِهِ السَّفِينَةُ وَ إِلَّا كَيْفَ يَسْأَلُهُ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ ، رَكِبْتَ الْبَحْرَ وَ انْكَسَرَتْ بِكَ السَّفِينَةُ ؟ قَالَ نَعَمْ ، كَيْدَتْ أَنْ تَغْرُقَ ؟ أَلَمْ يَتَعَلَّقَ قَلْبُكَ بِشَيْءٍ تَتَوَقَّعُ أَنْ يُنْقِذَكَ ، أَنْ يُخَلِّصَكَ حِينَمَا وَصَلْتَ إِلَى الْمَوْتِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، قَالَ هَذَا هُوَ اللَّهُ ، هَذَا الْقَادِرُ الَّذِي يُخَلِّصُكَ مِنَ الْمَوْتِ ، مِنَ الْمَهْلَكَةِ ، يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا النِّقْصِ وَ مِنْ هَذَا الْوَيْلِ ، هَذَا الثُّبُورُ الَّذِي حَلَّ بِكَ ، هَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا وَجَدَانُكَ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ الْقَاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى .

فِي عُمُقِ الْوُجْدَانِ الْبَشَرِيِّ ، فِي عُمُقِ الْوُجْدَانِ الْإِنْسَانِيِّ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ مَوْجُودَةٌ ، سِوَاءَ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ يَتَعَبَّدُ ، سِوَاءَ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ مُتَشَرِّعًا أَوْ لَيْسَ بِمُتَشَرِّعٍ ، يَحْمِلُ عَقِيدَةَ سَمَاوِيَّةٍ أَوْ يَحْمِلُ عَقِيدَةَ وَضَعِيَّةٍ مِنْ وَضَعِ الْإِنْسَانِ ، يَحْمِلُ فِكْرَةً أَوْ أَصْلًا لَا يَحْمِلُ فِكْرَةً ، كَالْحَيَوَانَاتِ يَعِيشُ ، بِهَيْمَةِ هُمَّةٍ بَطْنُهُ وَ فَرْجُهُ ، لَكِنْ فِي عُمُقِ وَجْدَانِهِ ، الْوُجْدَانِ الْبَشَرِيِّ يَبْقَى مَوْجُودًا مَهْمَا كَانَ الْإِنْسَانُ وَ مَهْمَا صَارَ الْإِنْسَانُ الْوُجْدَانُ يَبْقَى مَوْجُودًا ، حَتَّى يَزِيدَ يَحْمِلُ وَجْدَانًا ، حَتَّى عَمَرَ بِنَ الْخُطَابِ يَحْمِلُ وَجْدَانًا ، الْوُجْدَانُ هُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْبَشَرِ ، يَبْقَى يَزِيدُ وَ إِنْ فَعَلَ مَا فَعَلَ يَسْتَشْعِرُ عَظِيمَ جَرِيْمَتِهِ ، هُوَ هَذَا الْإِسْتِشْعَارُ هُوَ هَذَا صَوْتُ الْوُجْدَانِ

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

في اعماق الإنسان , يبقى عُمر و إن فعلَ ما فعلَ يستشعر ما فعلَهُ و لذلك تصدر منهم كلمات و منقولة حتى في كُتب اعدائنا , في كُتب المخالفين منقولة عنهم كلمات يتأسفون فيها على الذي صدرَ منهم و هذا صوت الوجدان في اعماق الإنسان , في قلب ابي جهل , في نفس ابي سفيان , في نفس معاوية , في نفس كل اعداء الله , في نفس ماركس , في نفس لينين و في نفس كل الملحدين يوجد هذا الصوت , صوت الوجدان يبقى موجودا و لذلك هذه القصة ينقلونها عندما يكتبون تاريخ ستالين , هذا الطاغية المعروف , ينقلون هذه القضية في آخر ايام حياته , يقولون حينما كان على فراش سفره إلى جهنم و وصلَ الحال به , بالنتيجة الميَّت تصل به الحالة إلى ان لا يتمكن من الكلام , وصلَ به الحال إلى حال الحشرجة و الغرغرة , اللحظات الاخيرة من حياته , يقولون هكذا , اخذَ يرفع سبابة يده هكذا , يشير هكذا , يرفعها , فقالوا ما يريد , يعني يُبيِّن أنه يريد شيئا , ابنته كانت جالسة إلى جنبه , قالت يقول انّ الله واحد , ابنته بالنتيجة تعرف افكاره , تعرف كلامه , ماذا يريد , قالت يقول انّ الله واحد , يشير إلى هذه الحقيقة , يريد ان يشير إلى هذا المعنى , لا يعني انه مات على حق و إلا كفّرعون الذي آمنَ عند الغرق بأنه لا إله إلاّ الذي آمنَت به بنو اسرائيل , هذا لا يعني انه , ربّما لو عادَ إلى الحياة الدنيا مرة ثانية و نشطت فيه الروح مرة ثانية لكان اعنى من السابق و لذلك لَمّا يطلبون من الباربي و من الملائكة ان اعيدونا إلى الدنيا , الباربي سبحانه و تعالى يقول لهم انكم لو عدتم إلى الدنيا , لو ارجعناكم لعدتم إلى ما نُهيتم عنه , إلى نفس الحالة السابقة و هذه هي العلة في خلود الإنسان في الجنة او خلود الإنسان في النار , لِمَاذَا يخلد الإنسان في الجنة و لِمَاذَا يخلد الإنسان في النار ؟ لَمّا يسألون الإمام عليه السلام انه الإنسان عمره محدود , سبعون سنة , ثمانون سنة , مائة سنة , خمسمائة سنة , الف سنة , لِمَاذَا يخلد في النار , فليكن عُمر الإنسان ما يكون , لِمَاذَا لا يُعذب بِحدود عُمره و لِمَاذَا لا يُعَمَّ بِحدود عُمره ؟ قال انّ اهل الجنة هم اهل الطاعة و لو بقوا في الدنيا و خلدوا في الدنيا كانت نيتهم الطاعة , و انّ اهل النار هم اهل المعصية و لو بقوا في الدنيا و خلدوا في الدنيا لكانت نيتهم على المعصية , فإمّا خلدَ اهل الجنة في الجنة بنياتهم , و خلدَ اهل النار في النار بنياتهم , المدار نية الإنسان , المدار ما يحمله الإنسان من تفكير و من قصد و من دوافع و من اهداف , على أي حال الآن ليس الحديث في هذه القضية , كلامي في انه في عمق الوجدان البشري , في عمق الوجدان الإنساني هناك صوت يدفعه إلى قدرة مطلقة , إلى قدرة لا حدود لها , حتى و إن لم يكن الإنسان يعرف اسماً لهذه القدرة لكن في عمق الوجدان هذا التحسُّس موجود , يعني لو انّ الإنسان يعيش في الغارات , يعيش في الكهوف , يعيش في مجاهل الارض , يستشعر هذا الإنسان بوجود قوة و لذلك هذه الحيوانات

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

الهائمة تستشعر بوجود الله سبحانه وتعالى و لذا في يوم القيامة يُحاسبها الباري , في رواياتنا انه لو انَّ بهيمة انتطحتْ بهيمة , يوم القيامة تُحشّر و هذه البهيمة تنطح تلك البهيمة التي نطحتها و بعد ذلك تتحوّل الحيوانات إلى تراب كما في احاديثنا الشريفة , حتى هذه الحيوانات تَضجُ إلى الباري سبحانه و تعالى و لذلك في الاحاديث القدسية , لولا بهائم رُتّع , يعني هذه البهائم لأتھا تحسُّ شيئا يتعلّق بالله في ذاتها , لولا بهائم رُتّع , و اطفال رُضّع , و شيوخ رُكّع . لولا هؤلاء . لصببتُ عليكم العذاب صَبّاً , يعني هذه موجودات عندها احساس بالوجود الإلهي , عندها استشعار بالوجود الإلهي , لولا بهائم رُتّع , و شيوخ حُضّع , و شباب رُكّع , و اطفال رُضّع لصببتُ العذاب عليكم صَبّاً , و هذه حقيقة واضحة نتلمّسها في الواقع العملي و نتلمّسها في الاحاديث القرآنية و الاحاديث المعصومية , في الكلام القرآني هذه الحقائق نتلمّسها كثيرا , فهناك في عمق الوجدان البشري , هناك شيء يدفع الإنسان لتلك القدرة المطلقة , قدرة مطلقة قادرة ان تفعل كل شيء , قدرة مطلقة ليس فيها شر لأنّ الإنسان حتى لو كان شريرا , حينما يُصيبه الضيق و حينما تُحيط به المشاكل و حينما تُسوّره الاحزان من كل جانب , تكون بمثابة الاسوار له من كل جانب و تُهيمن عليه المضّرات , هذا الإنسان يحسُّ في داخله توجد قوة ليس فيها شر , هذه القوة قادرة ان ترفع هذه المعاني , هذه القدرة و هذه القوة هي الله سبحانه و تعالى , أما كيف هي ؟ هل نراها ؟ نحن محجوبون عنها , عقولنا محجوبة عن هذه القدرة , عن حقيقة هذا الشيء , ما هو كنه هذه القدرة , ما هو كنه هذه الحقيقة التي بُجد للموجودات ارتباطا شديدا بها , هناك رابطة نفسية , رابطة معنوية وجدانية , ما هي هذه القدرة ؟ القدرة هي الله لكن ما هو الله (و جعلت معرفتك بالعجز عن معرفتك) إمامنا السجّاد في دعائه و مناجاته (و جعلت معرفتك بالعجز عن معرفتك) معرفته هي هذه , اننا نعجز عن معرفته , جلّت قدرته , تعالى شأنه , هو الواحد الاحد , هو القريب البعيد و هو البعيد القريب , هو الحنان المنان و هو الرحمة الظاهرة في كل شيء و ما في الوجود إلاّ الله و هذه آثاره و تجلّياته (و ما في الدار إلاّ ديار) هو الله و هذه آثاره و فيضه و تجلّياته و هذه سماؤه تُشرق في مخلوقاته لكنها تُشرق في مخلوق اكثر من مخلوق آخر و ما اشرقت بوضوح كوضوح هذه الشمس في عالمنا الدنيوي إلاّ في ذوات اهل البيت و لذلك إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه لَمّا يقولون انّ فلان قوم و فلان طائفة يقولون انّ الله يُرى بالعين , قال فليَمْلأوا عيونهم من هذه الشمس , هذا مخلوق من مخلوقاته , يتمكّن الإنسان ان يَمْلأ عينيه من الشمس , إذا كانوا يقولون انّ الله سبحانه و تعالى يُرى بالعين كما هم يقولون , المخالفون كثير منهم يقولون انّ الله في يوم القيامة يتجلّى لخلقه و وجهه كالقمر , اصلا الحنابلة

العبودية جوهرة كُنْهها الربوبية

ج ٢

يقولون انّ الله في كل ليلة جُمعة ينزل على سطوح المساجد و يدور على الفقراء و اليتامى في صورة غلام , حتى قصة منقولة , مذكورة في كتبهم عن بعض علمائهم انه كان يطوف على سطح المسجد , هذا كان من عُرفائهم كما مذكور في كتبهم , مذكورة في عدّة كُتب هذه القصة , كان يدور في سطح المسجد يبحث عن الله ليلة الجمعة , و كان ابن خادم المسجد او ابن احد الذين يأتون إلى المسجد , غلام صغير صعد على سطح المسجد و كانت اوصافه غلام قَطَطُ الشعر صغير , يعني لم يكن قد نبت شاربه و لحيته و كان شعره فيه قَطَطُ , وصف لشعر الرأس يعني , و كان الغلام على سطح المسجد , هذا الصوفي من المخالفين الحنابلة لما رآه وقع على اقدامه , يا إلهي و يا ربّي انا عبدك , هذا ماذا تصوّر ؟ الغلام تصوّر انّ هذا يريد ان . اجلّكم الله . يفعل فيه الفاحشة فأخذ الغلام يستغيث و الناس اجتمعوا , اهل المسجد اجتمعوا و كذا إلا انّ هذا كان يتصوّر انه هذا ربه قد نزل إلى الارض , إلى الدنيا و يتجوّل على سطوح المساجد , مذكورة في نفس كتاب مسند ابن حنبل الذي هو احد الصحاح الستة , هذه الروايات بهذا المعنى انه ينزل على سطوح البيوت و سطوح المساجد , مذكورة هذه في كتبهم , في صحاحهم الستة مذكورة , على أي حال لا نريد الدخول في مثل هذه المطالب .

فهذه القدرة المحيطة التي لا تُدرِكها الابصار و التي لا تتمكّن العقول من ان تُحيط بِكُنْهها هي الله سبحانه و تعالى , أمّا نحن هل نعرف شيئا عن كُنْه هذه الحقيقة ؟ ابدأ , و لا نتمكّن ان نعرف شيئا (و جعلت معرفتك) يعني اين هذا التفكير , هذه العبارة القصيرة من مُناجاة الإمام السجّاد , اين هذا الإعتقاد و اين مثل هذه العقائد ؟ كيف يكون عاقل يوازي بين كلام المعصوم و بين كلام غيره (و جعلت معرفتك بالعجز عن معرفتك) و هذه هي قَمّة المعرفة للموحّد , قَمّة المعرفة لأهل التوحيد هي هذه (و جعلت معرفتك بالعجز عن معرفتك) لكن ان يكون هذا المعنى نابتا في قلب الإنسان راسخا , يتحسّس بُعدُه المعنوي و آفاقه المعنوية في باطن روحه , انه (و جعلت معرفتك بالعجز عن معرفتك) لكن هناك وجدان يا إلهي اودعته في نفوسنا (و لولا انت لم ادر ما انت) في دعاء ابي حمزة الثمالي (بك عرفتك , و انت دلتني عليك , و دعوتني إليك , و لولا انت لم ادر ما انت) يعني لولا هذا الصوت الوجداني في اعماقي , هذا انت اوجدته في ذاتي و إلا لم يكن من فضلي و لم يكن من عندي (بك عرفتك , و انت . انت يا إلهي . دلتني عليك , و دعوتني إليك , و لولا انت لم ادر ما انت) هذا الوجدان الموجود في اعماق الإنسان هو هذا الذي يقود الإنسان إلى معرفة الباري , نحن محجوبون , هذا حجابنا , عقولنا لا تُحيط بِكُنْه الباري و ابصارنا لا تُدرِك شيئا , حواسنا لا تُدرِك شيئا من الباري لكن هناك في عمق الوجدان ,

العبودية جوهره كُنْهها الربوبية

ج ٢

أليس يُعبرون عن الضمير بأنه صوت الله في اعماق الإنسان , بأنه صوت الحق في اعماق الإنسان و هذا الوجدان هو هذا صوت الله في اعماق الإنسان , هي هذه الفطرة التي عبّر عنها في الاحاديث و في الروايات و انه فطرة الله لا تبديل لفطرة الله , هذه الفطرة المودعة التي هي حُجّة من الله على الناس و من هنا يبدأ الإنسان مسيرته إلى الله , من هذا الوجدان , لا من الحواس التي لا تُدرك شيئاً من الله و لا من العقل الذي لا يدرك شيئاً من كُنه الله , المسيرة من هنا تبدأ , المسيرة تبدأ من الفطرة , و الفطرة ما هي ؟ يسألون صادق العترة و الرواية في كتاب (التوحيد) لِشَيْخنا الصدوق رحمة الله عليه .. (إلى هنا ينتهي الوجه الاول من الكاسيت) .

.. في اعماق الإنسان , ما هو هذا الصوت , هي هذه الفطرة لكن هذه الفطرة مُحمّلة , هذه الفطرة تُحتاج إلى مَنْ يَنْحَتْها , هذه الفطرة تُحتاج إلى مَنْ يصوغها , هذه جوهره تُحتاج إلى صياغة , الله خَلَقَ الإنسان و اودع فيه هذه الجوهرة اللطيفة , هذه الجوهرة الثمينة , هذا الوجدان الذي اودع في باطن الإنسان , الذي يقوده إلى هذه القدرة المحيطة , هذه القدرة التي لا تعجز عن شيء , هذه القدرة التي لا يُصيبها الضعف , قدرة لا حدود لها و كل الحدود التي نتصوّرها في عقولنا لهذه القدرة هي دون تلك القدرة و مهما اطلقنا العنان للخيال و للتفكير في اوصاف تلك القدرة , في اوصاف تلك القوّة , هي لا تُعدُّ بشيء إلى تلكم القوة المطلقة , إلى تلكم القوة القاهرة فوق كل شيء الآن موجود و فوق كل شيء إذا اراد الله ان يوجده , فوق كل شيء الآن موجود و فوق كل شيء لو اراد الله ان يوجده , لو اوجد اشياء جديدة , ايضا تلك القدرة و ذلك القهر غالب عليها , هذه الفطرة المودعة مثل المعدن تُحتاج إلى تصفية , إلى تنقية , إلى نُحت مثل الحجر , حَجَر و يُراد ان يُنَحَّت بِشَكْل وردة مثلا , بِشَكْل مزهرية , بِشَكْل شجرة , يُنَحَّت بِشَكْل شجرة , يُحتاج إلى جُهد ؟ نُحتاج ان نبذل جُهدا في نُحت هذا الحجر بِشَكْل شجرة , و يُحتاج إلى مَنْ ينحت , جوهره لا بد ان توضع في يد الصائغ الخبير , الجوهرة الثمينة ما توضع في يد كل صائغ , لا بد لها من صائغ في غاية الخبرة توضع في يده و يصوغ هذه الجوهرة , يصوغها بِشَكْل نُحْفَة ثمينة , هذه الجوهرة كيف تُصاغ ؟ بأيّ صورة ؟ يسألون صادق العترة عليه السلام , ما الفطرة يابن رسول الله , قال , الفطرة اشهدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ و اشهدُ انّ مُحَمَّدًا رسول الله و اشهدُ انّ عَلِيًّا وليُّ الله , لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ , مُحَمَّد رسول الله , عَلِيٌّ وليُّ الله , هذه الفطرة التي تُصاغ , هناك صوت في اعماق الإنسان و هذا الصوت مثل هذه الجوهرة , هذا المعنى المودع في باطن الإنسان و قد يُعبّر عنه باصطلاح العرفاء بـ (الرقيقة) هذه الجوهرة و هذه الفطرة قد يُعبّر عنها في اصطلاح العرفاء بالرقيقة , يعني هذه الروح اللطيفة , هذا المعنى

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

اللطف , هذه الحقيقة التي تميل إلى التقُّدس , إلى القدسية و تستشعر بوجود هذه القوة المطلقة تحتاج إلى صياغة , و الصياغة الاولى كُتِبَتْ على هذه الفطرة لأننا نجد في الروايات رواية مروية عن النبي الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم يقول , انَّ آدمَ لَمَّا خَلَقَهُ اللهُ , هو آدم يقول ما وَجَدْتُ شيئاً في السماء و لا في الارض , ما وَجَدْتُ شيئاً إلا و قد كَتَبَ اللهُ عليه , لا إله إلا اللهُ , مُحَمَّدَ رسول الله , عليّ وليُّ الله , خَلَقاً لا خَطَأً , هناك كتابة خلقية في اصل الحلقة , ما وَجَدْتُ شيئاً في السماء , في الارض , في أي مكان , ما وَجَدْتُ شيئاً في هذا الوجود , في السماوت إلا و قد كَتَبَ اللهُ عليه لا إله إلا اللهُ , مُحَمَّدَ رسول الله , عليّ وليُّ الله , كَتَبَ عليه خَلَقاً لا خَطَأً , ماذا تقول الرواية ؟ خَلَقاً لا خَطَأً , الرواية في غاية الدقَّة , كَتَبَ عليه خَلَقاً لا خَطَأً , هذا في اصل وجود الاشياء , و حتى هناك كتابة خَطِيئة على هذه الموجودات , الروايات ايضا اشارت إلى هذا المعنى و هذه الروايات اصلاً في كُتُب العامة اكثر منها في كُتُب الخاصة , إنَّ اللهُ لَمَّا خَلَقَ العرشَ لم يَسْتَقِرَّ حتى كَتَبَ عليه لا إله إلا اللهُ , مُحَمَّدَ رسول الله , عليّ وليُّ الله , إنَّ اللهُ لَمَّا خَلَقَ الكرسي لم يَسْتَقِرَّ حتى كَتَبَ عليه لا إله إلا اللهُ , مُحَمَّدَ رسول الله , عليّ وليُّ الله , لَمَّا خَلَقَ الشمسَ كَتَبَ عليها كذلك , لَمَّا خَلَقَ القمرَ كَتَبَ على وجه القمر كذلك , لا إله إلا اللهُ , مُحَمَّدَ رسول الله , عليّ وليُّ الله , على اجنحة الملائكة ايضا كَتَبَ لا إله إلا اللهُ , مُحَمَّدَ رسول الله , عليّ وليُّ الله , في الروايات , على اكناف الارض , على رؤوس الجبال , في الوديان , في البحار , على اوراق الشجر و حتى على الحيوانات و لذلك ليس شيئاً غريباً انَّه في احد المجلات الاوروبية قبل سنوات قليلة نُشِرَتْ صورة لِمَقْطَع من الحنجرة , حنجرة البشر أُخِذَتْ بأجهزة كمبيوترية حديثة , مصوَّرة و كانت الصورة جداً واضحة , مكتوب عليها لا إله إلا اللهُ , مُحَمَّدَ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم , و رأيتُ في مكان آخر في مجلَّة اخرى مقطعا من القلب و قد كُتِبَ في وسطه (علي) مقطع من وسط القلب , ايضا نُشِرَ في مجلَّة المانية و في وسط القلب خرجت هذه الصورة مكتوب فيها علي كتابة جدا واضحة و لذلك العُرفاء يقولون هكذا , يقولون انَّ وجه الإنسان مكتوب بإسم عليّ عليه السلام , يقولون هكذا , هذه عَيْنٌ و هذه لائِمٌ و الياء الحاجب , و هذه عَيْنٌ ايضا , يعني الآن إذا تعكس كلمة (علي) بجعل اللام هكذا , تعكسها , لو كان ورقة و ارسُمها بِشَكل واضح تتبيَّن الصورة انَّه العين بِمِثَابَةِ حرف العين و هذا الانف بِمِثَابَةِ حرف اللام و الياء هي هذه الحاجب في مرَدِّها , و حتى صورة البدن الإنساني , انا لا اريد ان ادخل في هذه المطالب و إلا مثل هذه الكلمات كثيرا يوجد منها في كُتُب العُرفاء و في كُتُب العلماء المتخصِّصين في مثل هذه المطالب , حتى جسَد الإنسان , يقولون الرأْس بِمِثَابَةِ حرف الميم و اليَدان بِمِثَابَةِ حرف الحاء و الرِجْلان بِمِثَابَةِ

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

حرف الدال و هذه بطن الإنسان بمثابة الميم الثانية , الآن إذا ترسم هذا المعنى على ورقة , اعطوني ورقة , يتضح المعنى في أنّ هذا هو إسم مُحَمَّد صلى الله عليه و آله و سلم , يعني هذا بِشَكل تقريبي و قلتُ القضية ليست قضية رسم او خط , قلتُ خَلقاً لا خَطّاً لكن هذه الموافقات يُمكن للإنسان ان يتحسّسها , يعني الآن حرف الميم , هذه بمثابة رأس الإنسان , و هذه يدها لو هكذا أُخِذت بِصورة , بِمَقطع عَرَضِي , و هذه بَطْنُه و رجلاه , تكون بمثابة مُحَمَّد صلى الله عليه و آله و سلم , على أي حال ليس درسنا في مثل هذه الموافقات و كثير منها يوجد في خلق الله سبحانه و تعالى .

هذا الوجدان الموجود في اعماق الإنسان , في باطن الإنسان , هو هذا الذي يُعَبِّرُ عنه صادق العترة صلوات الله و سلامه عليه بأنّه لا إله إلاّ الله , مُحَمَّد رسول الله , عليّ وليّ الله صلى الله عليهما و آلهما , هي هذه الحقيقة التي تُصاغ و مَنْ الذي يصوغها , إمام كل زمان يصوغها في نفوس شيعة , هذه الجوهرة المودعة , الذي يصوغها لنا في قلوبنا و في نفوسنا إمامنا الحُجَّة بن الحسن صلوات الله و سلامه عليهما , الذي يصوغ هذه الجوهرة , و كلمة كانت لجورج جرداق هذا الكاتب الذي كتَب الكتاب المعروف عن أمير المؤمنين (عليّ صوت الحق و العدالة الإنسانية) لَمّا جاء إلى النجف و اقاموا له احتفالاً تكريمياً , كاتب مسيحي هو , لَمّا جاء إلى النجف و اقاموا له حَفلاً تكريمياً في النجف , طلبوا منه ان يتكلّم شيئاً في الإحتفال , قال هذه الكلمة , قال كان عليّ جوهرة صاغها مُحَمَّد صلى الله عليه و آله و سلم , انا لا اريد ان اقول أنّ هذه الكلمة لها اهمية , كلمة من مسيحي لكن الكلام جرّ الكلام , هذه الكلمة تُصدّق في شيعة اهل البيت و إلاّ عليّ و مُحَمَّد صلى الله عليهما و آلهما هُم جوهرة واحدة صاغها الله سبحانه و تعالى , هُم جوهرة واحدة , حقيقة واحدة , نفس واحدة (و انفسنا) آية صريحة في كتاب الله , آية المباهلة (و انفسنا) التعبير عن أمير المؤمنين عليه السلام , عليّ و مُحَمَّد صلى الله عليهما و آلهما جوهرة واحدة صاغها الله لكن هذه الكلمة نستفيد منها , نقول أنّ هذه الجوهرة يصوغها إمام زماننا في نفوس اوليائه , في نفوس اتباعه , في نفوس اشباعه , يصوغها بِالطافه الحَقِيَّة و بِالطافه الجَلِيَّة صلوات الله و سلامه عليه , من هنا تبدأ مسيرة الإنسان , تبدأ مسيرة الإنسان من هذا الوجدان , تبدأ في أي طريق ؟ تبدأ في طريق البحث عن الذي يصوغ هذه الجوهرة , إنسان و عندهُ جوهرة , صحيح بالنسبة لنا الذي يصوغ الجوهرة واضح , إمام زماننا عليه السلام , لكن الإنسان بِشَكل عام , الإنسان الله سبحانه و تعالى يودع في نفسه هذه الجوهرة اللطيفة , يودع في نفس الإنسان هذا الوجدان في اعماقه و الإنسان لَمّا يتحسّس هذا المعنى لا بد ان يبحث عن صائغ يصوغ هذه الجوهرة الثمينة , لا بد ان يبحث عن هذا الذي

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

يصوغ له هذه الجوهرة , نحن وجدنا من يصوغ هذه الجوهرة لكن هل ذهبنا إليه , هل قصدناه , هل بحثنا عنه ؟ الآن لو كان إنسان عنده جوهرة ثمينة و مثلاً هنا في اسواق ايران لا يعرف اهل الجواهر قيمتها , أليس يُخْرِجها , على سبيل المثال , مثلاً هذه الاشياء , التُحف القديمة و الآثار , الاثریات , قطعاً سوقها في الدول الغربية هنا يتعشّقون هذه الامور , سوق مثل هذه الاشياء في الدول الغربية , في لندن مثلاً , في باريس مثلاً , من كان عنده حاجة ثمينة أليس يقصد و يُسافر إلى تلكم البلاد البعيدة حتى يبيع هذه الجوهرة الثمينة , او إذا كان عنده حجر ثمين نادر و يعلم انّ هذا الحجر لا يتمكّن من صياغته إلاّ صائغ في خراسان او في تبريز او في افغانستان او في أي بلد آخر , أليس يقصد ذلك الصائغ كي تكون صياغة هذه الجوهرة بيد ذلك الصائغ لا بيد كل صائغ حتى لو كان قريباً منه حفاظاً على قيمة هذه الجوهرة , الجوهرة الله اودّعها في نفوسنا و هذا من فضله سبحانه و تعالى و هذا من منّة علينا , و الصائغ معروف عندنا , الذي يصوغ هذه الجوهرة إمام زماننا صلوات الله و سلامه عليه , الذي يَجِبُ علينا ما هو ؟ ان نتحرّك باتجاه هذا الذي يصوغ القلوب , ان نتحرّك باتجاه هذا الذي ينحت القلوب إلى الله , باتجاه هذا الذي يُطهّر القلوب , باتجاه إمام زماننا صلوات الله و سلامه عليه , لا بد ان تكون الحركة باتجاه هذا لا باتجاه غيره ..

يا ايّها المولى الوليُّ و من له الشرف العليُّ و من به انا واثقُ

لا ابتغي مولى سواك و لا ارى إلاّ ولاك و من عداك فطالقُ

الذي يريد ان يصوغ هذه الجوهرة ان يُطلق كل صائغ , ان يتوجّه إلى ذلك الذي يملك القدرة على صياغة القلوب , على صياغة الفطرة , على صياغة الارواح , على صياغة النفوس , فلا بد من هجرة , لا بد للإنسان ان يُهاجر باتجاه ذلك الذي سيُطهّر له فطرته , سيُطهّر له قلبه , سيُنقّي له باطنه , لا بد من هجرة و لذا اول كلام في هذا الكتاب الشريف عن الهجرة إلى الله و الهجرة إلى الله إنّما هي الهجرة إلى وليّ الله , استمعوا إلى كلامه , في الصفحة الثانية و الثلاثين (و من يخرج من بيته مهاجراً إلى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) ثم يقول (فالهجرة الصورية) يعني ان يُهاجر الإنسان ببدنه من بلد إلى بلد , هذه يُقال لها هجرة صورية لأنّها هجرة بصورة البدن , للبدن (فالهجرة الصورية و صورة الهجرة عبارة عن هجرة البدن , المنزل الصوري , إلى الكعبة او إلى مشاهد الاولياء) كهذا الذي يُهاجر إلى مشاهد الاولياء , الكلام عن الهجرة المعنوية (و الهجرة المعنوية هي الخروج من بيت النفس و منزل الدنيا إلى الله و رسوله) لا بد من هجرة إلى الله و رسوله , لا بد من هجرة إلى إمام زماننا صلوات

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

الله و سلامه عليه , هجرة النفوس يعني ان تكون القلوب قد هجرت كل شيء في سبيل إمام زمانها (و المهجرة المعنوية هي الخروج من بيت النفس و منزل الدنيا إلى الله و رسوله , و الهجرة إلى الرسول و إلى الولي أيضا هجرة إلى الله) الذي يهاجر إلى الله يهاجر إلى الرسول , يهاجر إلى الولي و من هو الولي ؟ إمام زماننا صلوات الله و سلامه عليه (و ما دام للسالك تعلق ما بنفسانيته , و توجهه منه إلى إنيته) إلى وجوده (إلى إنيته فليس هو بمسافر) وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

بيني و بينك إني ينازعني فارع بلطفك إني من البين

(بيني و بينك إني ينازعني) هذا الذي يمنعني ان اصِل إليك هو انا ..

بيني و بينك إني ينازعني فارع بلطفك إني من البين

(و ما دام للسالك تعلق ما بنفسانيته , و توجهه منه إلى إنيته فليس هو بمسافر) ليس هو هذا المسافر إلى الله , ليس هو هذا المسافر إلى صاحب الامر (و ما دامت البقايا من الانانية على امتداد نظر السالك) لاحظوا تعبير ادبي جدا راقى لإمام الأمة (و جدران مدينة النفس , و اذان اعلام حُب النفس) باعتبار ان المسافر متى يُقال له (مسافر) إذا ما اختفت الجدران و صوت الاذان , استعمال جدا دقيق , في غاية اللطف و الإمام كان في عبارته , مع ان هذا الكلام مترجم و إلا في العبارة الفارسية في غاية بداعة البلاغة و كتابات الإمام خصوصا في هذا الباب , في الباب العرفاني قمة البلاغة الادبية لكن لأنها مترجمة مع ترجمتها لا زالت تحتفظ , و الترجمة تُفسد بلاغة الكلام و لذلك الآن القرآن إذا اردنا ان نُترجمه إلى لغة اخرى تفسد بلاغته , تضعيع بلاغة القرآن , بلاغة القرآن في نفس عربيته , كذلك المؤلف لما كتب بالفارسي بلاغة كلامه في فارسيته , مع ذلك , مع هذه الترجمة نجد ان جمال الاسلوب الادبي جدا واضح و هذه ايضا من تأثيرات الذوق العرفاني لأن الذوق العرفاني و توجهه العرفاني يعكس على نفس الإنسان الذوق الادبي الرفيع (و ما دامت البقايا من الانانية على امتداد نظر السالك , و جدران مدينة النفس و اذان اعلام حُب النفس غير مُحْتَفِيَة) ما زال متعلقا بنفسه (فهو في حُكم الحاضر) و لذلك حتى في الشريعة لا يحق له ان يفطر , لا يحق له ان يقصر في صلاته , هو خارج للسفر لكن قبل ان تحتفي الجدران و قبل ان يغيب صوت الاذان و لا يُسمع صوت الاذان يحق له ان يفطر ؟ حدّ الترخّص , نفس المعنى الموجود في الشريعة (و ما دامت البقايا من الانانية على امتداد نظر السالك , و جدران مدينة النفس و اذان اعلام . او اعلام . حُب النفس غير مُحْتَفِيَة فَهو في حُكم الحاضر لا المسافر و لا المهاجر) المهاجر هو ذلك الذي يجعل عينه , فكره , عقله باتجاه ذلك الذي يصوغ الفطرة , هناك صياغة الفطرة , عند إمام

العبودية جوهرة كنهها الربوبية

ج ٢

زماننا صلوات الله و سلامه عليه , المهاجر هو ذلك الذي يُهاجر إلى إمام زماننا , لِماذا نقرأ في دعاء التُّدبة و كنتم تقرأونه قبل قليل (اَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا , اَيْنَ صَدْرُ الْخَلَائِقِ ذُو الْبِرِّ وَ التَّقْوَى) لِماذا نقول اَيْنَ , اَيْنَ , اَيْنَ (اَيْنَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوَى , اَيْنَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يَوْتَى , اَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاءِ) اَيْنَ , اَيْنَ , اَيْنَ أليس هي من ادوات الإستفهام ؟ عن أي شيء يُسأل بها , أليس يُسأل بها عن المكان ؟ أليس هذا سؤالاً عن المكان ؟ سؤال عن مكان يُهاجر إليه الإنسان , سؤال عن جهة الهجرة , إلى أي جهة يُهاجر الإنسان ؟ إلى هذه الجهة التي فيها السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاءِ , إلى هذه الجهة التي فيها جَامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوَى , إلى هذه الجهة التي فيها الْمُضْطَرُّ الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا , إلى تلكم الجهة , هناك الهجرة و ليس من هجرة إلاّ هناك , و إنّما الاعمال بالنيّات و لِكُلِّ امْرِيٍّ مَا نَوَى , فَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ لِامْرَأَةٍ يَنْكَحُهَا أَوْ دُنْيَاً يُصِيبُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ , وَ مَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ , الهجرة هناك و ليس الهجرة بالانتقال من ارض إلى ارض , الهجرة هناك حينما يُخَلَّفُ الْإِنْسَانُ بَقَايَا الدُّنْيَا , حينما يُخَلَّفُ الْإِنْسَانُ وَ يَنْزِعُ عَنِ جَسَدِهِ وَ عَنِ قَلْبِهِ وَ عَنِ رُوحِهِ ثِيَابَ الدُّنْيَا وَ يَتَّجَهُ بِقَلْبِهِ , بِوُجْدَانِهِ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي يُطَهِّرُ الْفِطْرَةَ , إِلَى مَعْدَنِ الطَّهَارَةِ , إِلَى مَعْدَنِ النُّورِ , إِلَى مَصْدَرِ الْهُدَايَةِ الْحَقَّةِ , إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا , هُنَاكَ الْهَجْرَةُ الْحَقَّةُ وَ لِذَلِكَ يَقُولُ (وَ الْهَجْرَةُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى الْوَلِيِّ أَيْضاً هَجْرَةٌ إِلَى اللَّهِ) هَذَا الَّذِي يَرِيدُ الْهَجْرَةَ فَلْيُهَاجِرْ إِلَى اللَّهِ , الْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ هَجْرَةُ إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا (وَ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ) أَتُرِيدُ الْهَجْرَةَ إِلَى اللَّهِ وَ (مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ) الْهَجْرَةَ هُنَاكَ مِنْ طَرِيقِ عَلِيٍّ وَ آلِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ , الْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ هَجْرَةُ إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ إِلَّا مَا زَالَتْ هُنَاكَ جُدْرَانُ لِمَدِينَةِ النَّفْسِ وَ مَا زَالَ هُنَاكَ آذَانٌ حَتَّى لَوْ كَانَ يُسْمَعُ مِنْ بَعِيدٍ , مَا زَالَتْ هَوَاجِسُ النَّفْسِ وَ مَا زَالَتْ رَغَبَاتُ النَّفْسِ فِي عَدَمِ نَزْوَعِ هَذِهِ الثِّيَابِ الَّتِي تَرْتَبِطُ الْإِنْسَانُ بِغَيْرِ أَهْلِ الْبَيْتِ لَا يَصِلُ الْإِنْسَانُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَبَدًا , الْهَجْرَةُ إِلَى اللَّهِ تَحْتَاجُ إِلَى شَرَايِطٍ , إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الدَّرْسِ الْقَادِمِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ نَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا الْمَطْلَبِ , نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى هَجْرَةٍ , لَيْسَ فَقَطْ هَجْرَةً , بِحَاجَةٍ إِلَى فِرَارٍ (فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) هَذَا نَبِيُّنَا يَصَدِّعُ فِي أَوْسَاطِنَا وَ هَذَا قُرْآنُنَا يَصَدِّعُ فِينَا (فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) إِلَى أَيْنَ نَفِرُ ؟ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَفِرَ إِلَى اللَّهِ , إِلَى أَيِّ جِهَةٍ ؟ أَلَيْسَ الْجِهَةُ الَّتِي نَفِرُ إِلَيْهَا الْحَقَّةُ بِنِ الْحَسَنِ (فَرُّوا إِلَى اللَّهِ) حِينَمَا يَأْمُرُنَا الْقُرْآنُ وَ يَقُولُ (فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ) إِلَى أَيْنَ نَفِرُ ؟ الْآنَ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَ فِي هَذَا الزَّمَانِ , إِلَى أَيِّ جِهَةٍ إِذَا فَرَرْنَا إِلَيْهَا يَكُونُ الْفِرَارُ إِلَى اللَّهِ ؟ إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا الْفِرَارُ

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

, فَفَرَّوْا إِلَى الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ , فَرَّوْا إِلَى اللَّهِ , فَرَّارٌ إِلَى الْإِمَامِ الْحُجَّةِ , إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَفْرَّ مِنْ نِقَائِصِنَا وَنُرِيدَ أَنْ نَدْخُلَ فِي دَارِ اللَّهِ , أَلَيْسَ هُوَ بَابُ اللَّهِ , قَبْلَ قَلِيلٍ كُنَّا نَقْرَأُ فِي الدُّعَاءِ (اَيْنَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يَأْتِي) نُرِيدُ الْفِرَارَ إِلَى اللَّهِ , وَ الْفِرَارَ إِلَى اللَّهِ لَا بَدَّ أَنْ نَدْخُلَ مِنَ الْبَابِ وَ الْبَابُ هُوَ الْحُجَّةُ , الْبَابُ إِمَامَ زَمَانِنَا (وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ) هَذِهِ الْمَسَارَعَةُ , سَارِعُوا يَعْنِي ارْكُضُوا سَرِيعًا وَ مُسَارِعَةٌ لِمَنْ (وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ) الْمَغْفِرَةُ عِنْدَ مَنْ , مَنْ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ , الْمَغْفِرَةُ عِنْدَ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ (سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) .

(وَ مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى , قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلِيِّ أَثْرِي وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) الْقُرْآنُ يَأْمُرُ بِالْمَسَارَعَةِ , بِالتَّعَجُّلِ , بِالْفِرَارِ , لِمَنْ (وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) لَاحِظُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي غَايَةِ الْعُمُقِ الْبَلَاغِيِّ وَ الْإِدْبَاطِيِّ (وَ مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى , قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلِيِّ أَثْرِي) يَأْتُونَ (وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) هَذِهِ الْعَجَلَةُ وَ هَذِهِ الْمَسَارَعَةُ وَ هَذَا الْفِرَارُ لِمَنْ ؟ فِرَارٌ إِلَى اللَّهِ , عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ , فَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ .

(وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَسْبِقُونَ (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) مُقَرَّبُونَ مِمَّنْ , عِنْدَ مَنْ ؟ عِنْدَ اللَّهِ , يَعْنِي سَبَقُوا لِلْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ , هُنَاكَ سَبَقُ فِي الْقُرْآنِ , هُنَاكَ فِرَارٌ إِلَى اللَّهِ , هُنَاكَ مُسَارَعَةٌ (وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) لَكِنْ مِنْ أَيِّ بَابٍ ؟ فِي سَفِينَةِ النِّجَاةِ (مَنْ رَكِبَهَا نَجَا) عَجَّلُوا , ارْكَبُوا فِي هَذِهِ السَّفِينَةِ , أَهْلُ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ , مَنْ رَكِبَهَا نَجَا , يَعْنِي حِينَمَا بَدَأَ الطُّوفَانَ يَفُورُ مِنْ تَوَّرِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَ بَدَأَتْ أَمْوَاجُ الْمِيَاهِ تَتَعَالَى حَتَّى وَصَلَتْ غَطَّتْ الْقِمَمَ الشَّاهِقَةَ لِلْجِبَالِ , إِلَى اَيْنَ الْفِرَارِ ؟ أَهْلُ الْإِيمَانِ فَرَّوْا إِلَى السَّفِينَةِ , أَمَّا أَهْلُ الْكُفْرِ غَرِقُوا , الْفِرَارُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ ؟ إِلَى السَّفِينَةِ الْمُنْجِيَةِ (وَ أَهْلُ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ , مَنْ رَكِبَهَا نَجَا) الْمَسَارَعَةُ وَ الْفِرَارُ إِلَى تَلَكُمُ السَّفِينَةِ لِأَنَّ النِّجَاةَ فِيهَا , وَ طُوفَانَ الذُّنُوبِ , طُوفَانَ الْمَعَاصِي , طُوفَانَ الْإِنَانِيَةِ الَّذِي يُغْرِقُ كُلَّ إِنْسَانٍ , هَذَا الطُّوفَانُ لَيْسَ مِنْهُ نَجَاةٌ إِلَّا فِي سَفِينَةِ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ , فِي زِيَارَتِهِ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَفِينَةَ النَّجَاةِ وَ يَا عَيْنَ الْحَيَاةِ) سَفِينَةُ نَجَاتِنَا هُنَاكَ , الْفِرَارُ مِنْ هَذَا الطُّوفَانِ الْمِتَلَاظِمِ , هَذِهِ الْأَمْوَاجُ الْمُظْلِمَةُ , ظُلُمَاتُ فَوْقَهَا ظُلُمَاتٌ لَوْ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا , هَذِهِ الظُّلُمَاتُ , الْفِرَارُ مِنْهَا إِلَى سَفِينَةِ النُّورِ , إِلَى سَفِينَةِ الْهُدَى , إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ , إِلَى هُنَاكَ , إِذَا تَوَجَّهَتْ الْقُلُوبُ وَ تَوَجَّهَتْ نِيَاقُ الْأَرْوَاحِ وَ هُنَاكَ رَبَطْنَا نِيَابَتَنَا , فِي فَنَائِهِ الْإِقْدَاسِ , فِي فَنَائِهِ النُّورِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ , نَعَمْ هِيَ هَذِهِ الْمَجْرَةُ الْوَاقِعِيَّةُ , وَ قَلْتُ لِلْمَجْرَةِ شَرَائِطُ , الْوَقْتُ يَكَادُ يَنْتَهِي , إِنْ شَاءَ

العبودية جوهره كنهها الربوبية

ج ٢

الله أُبَيِّنَ شرائط الهجرة إلى الله و هي هجرة إلى الإمام الحجة عليه السلام , أُبَيِّنُهَا ليلة الجمعة كما قُلت , لكن هذه الحقيقة يوجزها إمام الأمة في هذه العبارة , في الصفحة الثالثة و الثلاثين يقول (حتى إذا تمكَّن العبد) كيف يتمكَّن من الوصول إلى الحقيقة , إلى الهجرة (حتى إذا تمكَّن العبد بِنُصرة الحقِّ و اوليائه) لا بد له من نُصرة من الحقِّ و من اوليائه , ينصرونه حتى يصل (حتى إذا تمكَّن العبد بِنُصرة الحقِّ و اوليائه الكُمَّل عليهم السلام من الوصول إلى حقيقة العبودية و كنهها) إلى آخر الكلام , يعني انَّ النُصرة التي تُعينه و القوة التي تُساعده في الوصول إلى هدف هجرته في هذه المسارعة , في هذا الفرار , هذه النُصرة تأتيه من الولي , من اولياء الله سبحانه و تعالى .

بِهذا القَدَر نكتفي و إن شاء الله تَتَمَّ الكلام تأتينا في نهاية هذا الاسبوع القادم , ليلة الجمعة , يعني ربَّما بعض الإخوان حضروا في الاسبوع الماضي في مثل هذا اليوم كما هو الحال الدرس مُنعقد في مثل هذا اليوم , إذا رأيتوهم بَلَّغوهم بأنَّه الدرس يتحوَّل إن شاء الله إلى ليلة الجمعة بعد اذان المغرب و العشاء بنصف ساعة بِحوال الله .

و آخر دعوانا ان الحمد لله ربَّ العالمين .

و صلى الله على سيِّدنا و نبيِّنا مُحَمَّد وآله الاطيين الاطهرين

ملاحظة :

- (1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فيُرجى مراعاة ذلك .

(و نسألُكم الدعاء لِتَعْجيل الفرج)